١٧ ــ مأزق

الناس(١) جميعا مقتنعون بأن الموقف السياسى الذى انتهت إليه مصر سيىء إلى أقصى غايات السوء ، ردىء إلى أبعد آماد الرداءة ، لا يختلف أحد فى ذلك ، ولا يجادل فيه أحد وإنما يختلفون فى المخرج الذى يجب أن يُلتمس للتخلص من هذا المأزق ، والرجوع إلى حياة يسيرة تهدأ فيها النفوس ، ويطمئن الناس فيها على مناصبهم وآمالهم .

ولسنا نزعم هذا زعما ، ولا نلقيه على علّاته ، فتستطيع أن تثق بأن أشد الناس اقتناعا بحرج هذا الموقف الذى نحن فيه ، ووجوب التخلص منه إنما هم الوزراء ورئيسهم الذى سافر أمس ليستشفى ويستريح . هم أشد الناس اقتناعا بحرج هذا الموقف ، وهم أحرص الناس على الخروج منه والتخفف من أثقاله ، بشرط ألا يكون الخروج منه خروجا من الحكم ، وألا يكون التخفف من أثقاله تخففا من أعباء الوزارة . لذلك اجتمعوا مساء الخميس ، ولذلك اجتمعوا مساء الأحد ، ولذلك اجتمعوا فى القطار كما يجتمع المتحاربون حين يريدون الهدنة أو يفاوضون فى الصلح ، ولذلك اتخذوا فى اجتماعاتهم هذه قرارات عرف بعضها ، وسيعرف بعضها الآخر غدا أو بعد غد ، والذى عرف منها يكفى لإثبات أنهم محرجون ، وأنهم يلتمسون مخرجا من هذا الحرج ، ومتنفسا من هذا الضيق .

قرروا أن يفتح باب الاستثناء لكبار الموظفين وأشباههم من المحسوبين والمقربين ، وأن ينفق عليهم مال الدولة عن سعة ، وفى غير تحفظ أو اقتصاد ، لماذا ؟ ليشجعوا من يرونه منهم محسنا على إحسانه ، وليصرفوا من يرونه منهم مسيئا عن إساءته ! ليضمنوا نصر هؤلاء الموظفين وتأييدهم ، وصمت هؤلاء الموظفين وهدوءهم على كل حال ! ثم رأوا أن هذا الاستثناء لا يغنى ، وأن الوزارة لا تنتفع بكسب القِلّة من الموظفين ، أو بإسكات هذه القلة ، وإنما يرجى لها

---

(١) ١٧ ــ ٥ ــ ١٩٣٣ .

النفع إن أرضت كثرة الموظفين ، فحوَّلت الاستثناء إلى قاعدة ، وفتحت أبواب الترقيات والعلاوات واسعة كل السعة ، يدخل منها من يشاء الوزراء أن يدخلوه .

وأنت تستطيع أن تبحث عن الأسباب التى دعت إلى أن تتغير سياسة الوزارة إلى هذا الحد مع كبار الموظفين وصغارهم ، فلن تجد إلا سببا واحدا مقنعا ؛ هو أن الوزارة واثقة بالضعف والاضطراب ، وأنها تريد أن تقوى هذا الضعف ، وتثبت هذا الاضطراب ، وأنها قد اهتدت إلى السبل التى تظنها موصلة إلى ما تريد ، وهى كسب الموظفين وإرضاؤهم بأن ترد عليهم ما كانت قد أخَّرت عنهم من الترقيات والعلاوات .

وقرار آخر ليس أقل من هذا القرار دلالة على اقتناع الوزارة بالضعف ، واجتهادها فى التماس القوة التى تمكنها من البقاء ، وهو هذا المليون الذى تفضَّلت به الوزارة لمعونة الفلاحين ، فقد تأخر شعور الوزارة بحاجة الفلاحين إلى هذه المعونة ، ولم تسمع الوزارة صياح الفلاحين ، ولم تسمع الوزارة أنين الفلاحين ، ولم تر الوزارة بؤس الفلاحين ، ولم تشهد الوزارة ظهور الجوع والمرض بين الفلاحين إلا فى هذه اللحظة الأخيرة التى سبقت رحلة رئيس الوزراء .

بلى ، لقد سمعت الحكومة ، ورأت وشهدت ، واقتنعت منذ زمن طويل بأن الفلاحين أشقياء ، وبأنهم فى حاجة إلى المعونة ، وإلى معونة يقصر عنها هذا المليون ، ولكنها أعرضت عما سمعت ، ورأت وشهدت وأحست ما وسعها الإعراض ، وما آمنت لنفسها بالقوة وما أملت لنفسها البقاء ، حتى إذا أظلم الجو واضطربت الأرض ، واشتد عصف الريح ، ، ووهنت أسباب الأمل تنبهت إلى الحرج ، وفكَّرت فى اتِّقائه ، وجدَّت فى الخروج منه ، فآثرت الموظفين بالعلاوات ، ونزلت للفلاحين عن جهد المقِلّ ، وهو هذا المليون .

فليس من شك إذن فى أن الوزارة شاعرة أوضح الشعور بأن الموقف السياسى الذى نحن فيه ردىء سيىء إلى أقصى غايات الرداءة والسوء ، فأما الذين يؤيدون الوزارة ويتوسلون بها إلى قضاء اللبانات ، وتحقيق المآرب فقد شكوا فيها منذ زمن بعيد ، ومدوا لها أسباب التأييد مبالغين فى الاحتياط حينا ، ومبالغين فى المجاملة حينا آخر ، حتى إذا ظهرت فضائح البدارى تحول الشك إلى يقين ، ثم لما مرض

رئيس الوزراء ، استيأسوا من الوزارة وودُّوا لو يجدون سبيلا إلى التخلص منها !

وقد برىء رئيس الوزراء بعض الشيء من مرضه ، وما زالت « التيمس » تقول إن وزارته الآن لا رأس لها ! وإن الأمل فى نهوضه بأعباء الحكم حتى بعد عودته من أوربا شيء لا سبيل إليه !

فالإنجليز إذن مستيئسون من الوزارة القائمة ، رأت صحفهم الكبرى ، وما زالت ترى أنها وزارة بلا رأس ، أى أنها وزارة عاجزة عن التفكير والتقدير والإرادة والعمل ، لأن هذه الملكات كلها إنما تستقر فى الرءوس ، لا فى الأكتاف ! وقد كانت مستقرة فى رأس الوزارة وهو صدقى باشا فلما مرض مرضت معه ، وأصبحت الوزارة لها أكتاف وأذرع ، ولها صدور وظهور ، ولكن ليس لها رأس ! فليس من سبيل إلى الأمل فيها والاعتماد عليها . وإذن فكيف التخلص منها ، أو بعبارة أدق : كيف المخرج من هذا الموقف السياسى بعد أن عجزت الوزارة عن إخراجنا منه ؟

أما مصر فرأيها فى ذلك معروف ، ولكنك تعلم حق العلم أن الأمر فى هذه الأيام ليس لمصر ، ولو قد كان أمر مصر إليها ، أو إليها وحدها على أقل تقدير ، لما انتهينا إلى هذا الموقف ، ولما كان شيء مما يكره ويضيق به الساسة الآن .

وأما الوزارة فقد عرفت مذهبها فى الخروج من هذا الموقف ، وهو هذا الذى سماه مُكاتب « التيمس » فى الصيف الماضى رشوة يقصد به إلى كسب الأنصار والمؤيدين من الموظفين والفلاحين .

أما الإنجليز فالحل الذى يرضيهم ليس إليه من سبيل فيما يظهر ، فهم يريدون وزارة لا تسيطر عليها وطنية الوفد الهوجاء ، وكأنهم قد درسوا فأطالوا الدرس ، وبحثوا فأتقنوا البحث ، ثم كانت النتيجة هذا الدرس الطويل والبحث المتقن أن وطنية الوفد الهوجاء هذه واقفة بالمرصاد لكل وزارة تنهض لأمور الحكم على غير إرادة الأمة ، وأن وقوف وطنية الوفد الهوجاء قد أضاع جهود الوزارة القائمة ، وانتهى بالتجربة إلى إخفاق ليس مثله إخفاق وهو من غير شك سيضيع جهود الوزارات الأخرى التى تشبه الوزارة القائمة ، وسينتهى بالتجارب الأخرى التى تشبه التجربة القائمة إلى إخفاق ليس مثله إخفاق .

وإذن فليس للمشكلة إلا حلان ، أحدهما يكرهه الإنجليز فيما يظهر ، ولا يستطيعون أن يذوقوه الآن على أقل تقدير ، وهو أن يتركوا أمر مصر لمصر ، ويَدَعوا وطنية الوفد الهوجاء هذه تدبر أمور مصر على ذلك النحو المعروف الذى تحبه مصر فيما يظهر ، ولا تريد أن تنصرف عنه ، ولا أن تزهد فيه مهما تنفَق الجهود لصرفها عنه وتزهيدها فيه .

والثانى لا يستطيعه الإنجليز ولا يقدرون عليه ، وهى أن تمحق وطنية الوفد الهوجاء هذه محقا ، وتسحق سحقا ، وتعفى آثارها تعفية تامة ، وقد أقيمت الوزارات المختلفة لتحقيق هذا الغرض ، وقضاء هذه اللبانة ، فكانت كثور الأعشى هذا الذى ينطح الصخرة فيوهى قرنه ، ولا يبلغ من الصخرة شيئا . فلم يبق إلا عمل واحد حاسم يريح الإنجليز وأصدقاءهم من وطنية الوفد الهوجاء هذه ، وهى إجلاء المصريين عن مصر ، وإخراجهم من أرضها ، وتشريدهم فى أقطار الأرض فى أمكنة بعيدة جدا ، ، لا تصل إليها الأنباء ، ولا تأتى منها الأنباء .

هنالك وهنالك فحسب تستقيم الأمور ، وتستطيع الوزارة القائمة ، بل تستطيع وزارات أضعف من الوزارة القائمة أن تحكم مصر فى غير مشقة ولا جهد ولا عناء ! وأى جهد تلقاه الوزارة فى أن تحكم أرضا قد خلت من أهلها ، وبلادا قد أقصى عنها سكانها ؟

هذا هو الحل الصحيح لمشكلة وطنية الوفد الهوجاء ، ولكن متى يجد الإنجليز من أنفسهم الشجاعة والقدرة على أن يزعجوا الأمة المصرية عن أرضها ، ويزيلوها عن بلادها . وإن فعلوا فإلى أين يرسلون أفواجها الطريدة الشريدة ؟

إن هذه الأمة موبوءة بوطنية الوفد الهوجاء ، فهى حيثما ذهبت نظمت معها وطنية الوفد الهوجاء ، فحصرها فى دارها خير من تشتيتها فى أقطار الأرض ، وإذن فأين المخرج من هذا المأزق ؟ وكيف السبيل إلى التخلص منه ؟

ليس هناك إلا هذا المخرج الذى يجد الإنجليز فيه مرارة وغضاضة وهو أن

يقتنع الإنجليز أن مصر يجب أن تعيش لنفسها ، لا للأجنبى ، وبأن مصر يجب أن تعيش بأهلها لا بالأجنبى ، وبأن مصر يجب أن تحكم كما تريد هى ، لا كما يريد الأجنبى ، وبأن مصر لن ترضى ولن تذعن حتى يخلى بينها وبين وطنية الوفد الهوجاء تلقى إليها أعنة الحكم ما أحبتها ووثقت بها ورضيت عنها فإذا كرهتها أو رغبت عنها ، أو زهدت فيها تخلصت هى منها حرة لا مكرهة ، وحولت هى عنها أعنة الحكم إلى قوم آخرين .

هذا شيء لا يحبه الإنجليز الآن ، ولكنهم سيحبونه غدا من غير شك ، لأن الإنجليز مهما تعظم قوتهم وتشتد سطوتهم وتحتد شوكتهم أضعف من أن يغيروا طبائع الأشياء .

وإلى أن يعترف الإنجليز لأنفسهم بهذا الضعف ، وإلى أن يؤمن الإنجليز لمصر بحقها فى أن تجعل أمورها لمن تشاء حتى لأصحاب الوطنية الهوجاء ، يجب أن نظل نحن أقوياء صابرين ، ولكن فى أمل وعزة وابتسام .